1
أجزخانة (الصيدلية المنزلية)

تحوي من أنواع الدواء صنوفًا، وتدفع -بإذن الله- من أصناف البلاء ألوفًا، وفي مكان عال، بعيدًا عن أيدي الأطفال، تجدها معلقة تستند إلى الحائط وكأنها تتكئ عليه وتستعين به ليحمل معها حملها الذي بداخلها، فبها من الدواء الاحتياطي الكثير، ومن أصنافه كمٌّ غير يسير. ولا عجب في ذلك فالمرء مفطور على حب العافية، والله تعالى يحب من عباده أن يسألوه إياها لأنه هو المتفضل بها عليهم والمنعم الحقيقي، لذلك كان رسولنا ﷺ يطلبها ويفتتح يومه ويختتمه صباحًا ومساءًا بطلبها من الله مانحها فيقول: **"اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ..."** [1].

كل ذلك الاهتمام بطلب تلك النعمة العظيمة ليؤكد تأكيدًا شديدًا على أهميتها للإنسان في رحلة حياته، وأنها أداة من أدوات استخلافه في الأرض ليقوم بدوره خير قيام.

والصيدلية بما فيها من إسعافات أولية، وأدوية وقائية، تذكّرنا بعافية الأبدان وصحتها، وبضرورة التداوي من مختلف الأمراض تعبّدًا لله وامتثالاً لأمر رسوله ﷺ القائل لنا: **"تداوَوْا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم"** [2]. ومن هنا نعلم أهمية الحفاظ على الصحة العامة باتباع

(1) رواه أبو داود.
(2) رواه أحمد.

إرشادات الرسول ﷺ في المأكل والمشرب وفي نظافة الجسد والبيت والمجتمع والبيئة المحيطة بنا. وللأسف فإن كثيرًا منا لا يعي ذلك ولا يقدّر تلك النعمة العظيمة إلا بعد أن يصيبها خلل أو شرخ في صلبها، كما قال رسول الله ﷺ: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس:الصحة والفراغ"** [1]. فالصحة تاج كما يقولون على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى! وصاحب الصحة لا زال في فرصة وفسحة ليتقن عمله قبل أن توصد في وجهه أبواب المقدرة.. قبل أن يمرض أو يهرم أو يموت! ومن هنا كانت توجيهات حبيبنا ﷺ لنا: **"اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هِرَمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"** [2]. وقد وضع لنا القاعدة العامة للحفاظ على الصحة فقال: **"ما ملأ آدميّ وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"** [3].

وكان أصحابه رضوان الله عليهم يهتمون بذلك ويتناصحون به، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، ومفسدة للجسم، ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم، فهو أبعد إلى السرف، وأصح للبدن وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه**).

ينبغي على المسلم إن مرض بعد أخذه بأسباب الصحة أن يعلم أن هذا المرض ابتلاء من الله تعالى له وأن أمره كله خير، فكله بقدر الله تعالى وتقديره، وأن الأمراض مكفرات للذنوب رافعة للدرجات ما صبر العبد على البلاء وأناب، ففي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: **"ما يصيب المسلم من نَصَب (تعب) ولا وَصَب(مرض) ولا همّ ولا حزَن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر**

(1) رواه البخارى .
(2) رواه الحاكم .
(3) رواه الترمذي .

الله بها من خطاياه" [1] . كما يجب عليه أن يأخذ بأسباب الشفاء فيبدأ أولا باللجوء إلى الله بالدعاء أن يكشف عنه ويشفيه ويعينه على الصبر والشكر، فإنه **"ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر"** [2].. ويتبع ما ورد عن رسوله الأمين ﷺ من آداب.. **"ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله – ثلاثًا- وقل – سبع مرات- أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"** [3]. وليحذر كل الحذر من الشكوى والجزع والضيق والضجر فالله أرحم بعباده من أنفسهم، وفي الحديث:**"من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده، وكتمها ولم يشكها إلى الناس، كان حقا على الله أن يغفر له"** [4] . ثم يسارع فيجمع بين دواء الروح ودواء الجسد بالذهاب إلى الطبيب، وألا يتناول أي دواء دون استشارة منه حتى لا يتضرر بذلك، ويطلب التداوي بالأدوية المباحة التي يصفها له أهل الخبرة والاختصاص من الأطباء الأمناء ففيها الشفاء بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: **"إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم"** [5].

ومن الأخطاء الكبيرة والتي لا يرضاها الله ونهى عنها رسوله ﷺ لجوء بعض المرضى إلى الدجالين والمشعوذين والكهان ظنًا منهم أن الشفاء عندهم فيطلبونه بطريق غير مشروع يقدح في صحة عقيدتهم وهم لا يشعرون، ويلصقون أي مرض عضوي أو نفسي بالجنّ ومسّهم والسحر والعمل، دون دليل أو برهان إلا الظن..

وفي الحديث تحذير شديد من ذلك فقد قال النبي ﷺ:**"من أتى عرافًا أوكاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ "** [6] . وقد يعلقون تميمة أو حجابًا من عمل هؤلاء الدجالين، وقد نهينا أيضًا عن ذلك.. قال رسول الله ﷺ : **"من**

(1) متفق عليه .
(2) متفق عليه .
(3) رواه مسلم .
(4) رواه الطبراني .
(5) رواه البخاري .
(6) رواه الحاكم .

علق تميمة فقد أشرك" [1]. أما الرقى الشرعية المأثورة عن النبي ﷺ فيجوز الأخذ بها ورقية المريض نفسه بالأدعية الواردة فيها..

وزيارة المريض واجبة وحق له على أخيه المسلم.. قال رسول الله ﷺ: **"عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني"** [2]. وثواب عيادته عظيم.. ففي الحديث: **"إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح"** [3]. ويستحب لمن عاد مريضًا أن يتبع الهدي النبوي فيدعو له ويقول:**"اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا"** [4].

(1) رواه أحمد.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه الترمذي.
(4) رواه البخاري.

2

إمساكيــة رمضـان

إنها تعرف بهذا الاسم في بعض البلاد العربية حينما يحل شهر الصيام، وفيما عداه من الشهور يحلّ محلها التقويم السنوي الذي نعرف به الأيام والشهور وتواريخها، وكل ورقة نرفعها من هذا التقويم توحي بميلاد يوم جديد، يوم ينادي فينا: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود، يوم يمكننا أن نملأه بما ينفعنا وينفع الناس من حولنا ويكون لنا به عند الله تعالى رصيد. كما أن هذه الوريقات التي نقطفها يومًا بعد يوم دون انتباه تؤذن بمرور العمر واقتراب الأجل الذي مهما طال فهو ليس ببعيد. هذا عن التقويم، أما إمساكية رمضان فإنها تتحلى بمواقيت الصلوات وتتزين ببيان وقت السحور والإفطار من أول هذا الشهر الكريم إلى آخره، لذا فهي خاصة بالشهر المبارك ومهمتها تنبيه المرء وتذكيره ومساعدته على تنظيم وقته فيه، وقد تختلف المواعيد من بلد لآخر باختلاف أوقات شروق الشمس وغروبها تبعًا لموقع كل بلد، إلا أن ذلك لا يحرمنا من الوحدة الإيمانية التي نتمتع بها في شهر رمضان حيث يكون وقت صيامنا جميعًا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا شك أننا جميعًا ننتظر هذه الإمساكية من العام إلى العام ففي مجيئها حلول شهر الصيام بما يظلله من نفحات مباركات وسلام .

إن وجود **إمساكية رمضان** ليذكرنا بقيمة الوقت وفضل المحافظة على الصلوات والأوقات خاصة في هذا الشهر الكريم، ولقد عرف الصحابة الكرام والصالحون الأتقياء قيمة أيامه ولياليه فاستغلوها أيما استغلال وتواصوا فيما بينهم

على ذلك، فقد مرّ بعضهم بقوم وهم يضحكون فقال: (**إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته**).. وعرفوا قيمة أوقاتهم في الدنيا وأهميتها لتحقيق سكينتهم وسعادتهم المؤقتة فيها ونعيمهم الدائم الخالد في الآخرة، ووعَوا قوله تعالى﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾[البقرة:148]. فشمروا لها وطرقوا أبواب الخير، كل الخير، ليكون لهم من كل باب نصيب وعمروا دنياهم به، فأخذوا منها بقدر ما أنفقوا فيها، وجنوا ثمارها من نوع ما بذروا في أرضها، وأعطتهم من نفيس دقائقها وساعاتها ما أعطوها من جهد خالص، وعمل نافع، وتزودٍ من تقوى، فكانت زادهم إلى الآخرة، بعد أن تركوا آثارهم وبصماتهم واضحة جلية أمام عيوننا. لذا نجد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ يقول مذكرًا: (**الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة**).

وفي ذلك قيل:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

من عرف الدنيا على حقيقتها أيقن أن أعظم وأجمل ما فيها طاعة الرحمن، وأنفع ما للمرء فيها السير على طريقه المستقيم بلا تردد أو اعوجاج. وإذا ما اضطربت قدماه أو تعثرت، أو زلّت به فوقع، لمرض ألمّ به، أو تعب أو ضياع، فإن في هذا الطريق الطويل محطات استشفاء لمن يريد أن يستشفي، وعلامات هداية واسترشاد لمن يبغي الهدى ويطلب الثبات، يلتقط فيها الغريب أنفاسه ويلمّ من شعث نفسه، ويراجع التائه طريقه ليسلك دربه الصحيح، ومن أعظم هذه المحطات شهر رمضان الكريم الذي هو كفيل بصقل تلك النفوس ليعود لها بريق

فطرتها الذي محته أو شوهته المعاصي والذنوب، وما سمي رمضان إلا لأنه يرمض الذنوب ويحرقها، وقد فرض الله تعالى علينا صيامه، فقال تعالى﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:185].

فرض عز وجل صيامه لا ليحرمنا، بل ليعطينا ويحبونا ويمنحنا.. فرض علينا صيامه لا ليضعف أجسادنا بالجوع وينهكها، بل ليصحّها ويقويها ويطهرها.. ولا ليكبت حاجات نفوسنا ويكسر غرائزها أو ينكرها، بل ليحررها من عبودية الهوى وآفات الشهوة والشبع، ويقويها بالإرادة والصبر، ويعزها بالترفع على هتافات الجسد المادية ووساوس النفس الدنية، إلى نداءات الروح السوية وحاجات سموها وحمايتها من الذل إلا لله وحده خالقها، ألا ترى الطبيب حين يمنع مرضاه من الطعام الشهي والأكل اللذيذ حرصًا على سلامتهم وصحتهم أينكر ذلك عليه أحد؟!

وماذا لو وصف لهم مُرّ الدواء طلبًا للشفاء أيتردد المريض في تجرعه طرفة عين؟!

هكذا أنت أيها الإنسان -ولله المثل الأعلى- حين يأمرك إلهك الحق ومولاك العظيم لا بد وأن تمتثل الأوامر لتزول الأسقام، ولن تجد مزيلاً لها كالتوبة والصيام، إذ أنه كلما امتلأت المعدة وتراكم الطعام فوق الطعام، وكلما كثر اللغو ونشط اللسان بغير ذكر وزاد من الكلام، قسا قلب المرء وغشيته الظلمة وعلاه الران، ومتى كان الإنسان غافلاً لاهيًا، عابثًا مغرورًا، مخدوعًا بزينة الحياة، لا يعبأ إلا بنفسه، تاركًا لهواه الزمام، مرض قلبه وما استقام، بل أضحى حيًّا بجسده مع الأحياء وما يعلم بحال قلبه إلا مقلب القلوب والأبصار القائل في كتابه الكريم:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46]. لذلك كان الصيام من أهم محطات الوقود اللازم والضروري لصلاح نفوسنا وحياة قلوبنا وتجديد طاقاتنا وتقوية علاقاتنا مع خالقنا العظيم سبحانه وتعالى، وبهذا الوقود حياة القلوب تعود، فتتحقق العبودية لله تعالى، ونقهر الشيطان ونسد مسالكه ونضيق مجاريه، وبه نستعلي على الشهوات بتربية النفس وتقوية الإرادة وتهذيب الأخلاق، فنجوع ونعطش لله، ونكف السمع والبصر وجميع الجوارح عن كل ما يسخطه تعالى.

3

بَـــاب

إنك لا تستطيع دخول بيتك دون المرور منه وإلا كنت سارقًا.. كما أنك لا تستطيع الخروج أيضًا إلا من خلاله وإلا لما كنت عاقلاً! وهو عنوان البيت والحدّ الفاصل بينك وبين الشارع، فمنه تلج ومنه تخرج.. يحفظك من عيون الفضوليين، ويكتم سرك ويغطي عورتك، وهو لك حافظ أمين ينأى بك عن أن تكون مشاعًا للجميع، ولك أن تتخيل بيتًا ذا رياش وأثاث وفراش لكنه بلا باب، فهل يغني عنه أثاثه شيئًا؟!

إن ذلك سيجعله بالتأكيد طعمة سهلة للسارقين، ولقمة سائغة للطفيليين. فبيْت بلا باب كبَدَنٍ عارٍ بلا ثياب، ومن هنا كانت أهمية الباب.

إن كثيرًا منا ينظر إلى الأشياء نظرة جامدة قاصرة، ولو نظرنا إلى ما حولنا بمنظار مكبر لكبرتْ في أعيننا النعم وعظمتْ ولو بدتْ صغيرة، ولتجلتْ لنا معانٍ كثيرة يفتح الله بها علينا، ولفتحنا مع باب البيت أبوابًا شتى هي أمامنا مغلقة، فالأبواب إذًا كثيرة تحتاج لمن يتعرف عليها ويفتحها! فباب العلم:السؤال، وباب الإسلام:الشهادتان، وباب السعادة:الإيمان، وباب العزة:الإسلام، وباب الفقه:الجلوس إلى العلماء، وباب النجاح:الاجتهاد، وباب المحبة:الإحسان، وباب الرزق:السعي، وباب العفة:الزواج، وباب القبول:الإخلاص.

ذكرت كلمة **"باب"** في القرآن الكريم، كما ذكرت في السنة المطهرة، وقد جعل الإسلام لدخول البيت والخروج منه آدابًا منها: الخروج بالرجل اليسرى والتأدب بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ **"بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"** [1].

(1) رواه النسائي .

"اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضَل، أو أزل، أوأزَل، أوأظلِم، أوأظلَم، أوأجهَل، أو يُجهَل عليّ" [1].

وعند الدخول ندخل بالرجل اليمنى ونقول **"باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا"** [2]. وقد أمرنا الله تعالى بأن نأتي البيوت من أبوابها فقال: "﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:189] وجعل للدخول على الغير آدابًا فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور:27].

قال قتادة في قوله "حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا": هو الاستئذان ثلاثًا، فمن لم يؤذن له منهم فليرجع، أما الأولى فليسمع الحيّ، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر.

وكذلك جعل الله تعالى حق الاستئذان للأقارب بعضهم على بعض فقال في سورة النور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:58].. وقال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:59].

خلف هذه الأبواب تجد عبادًا وجدوا أنسهم في خلوتهم بعيدًا عن عيون الخلق، يتنقلون من وراء الأبواب من دَوحة إلى دوحة في رياض من الجنة ونعيمها، قد علموا أن الشيطان لهم بالمرصاد فأغلقوا دونه الأبواب، ولم يفتحوها إلا لكل برّ وإحسان وبسرّية تامة، ومتى هدأت العيون كان لهم دويّ كدويّ

(1) رواه الترمذي .
(2) رواه أبو داود .

النحل من ذكر الله، وإذا خلا كل حبيب بحبيبه خلوا بربهم سبحانه وتعالى فسكبوا في محرابه دموع الرجاء والخوف، ورفعوا أكفهم بدعاء الرغَب والرَهَب، وسارعوا في عمل الخيرات مسارعة الحبيب المشتاق.. فكانت لذة المناجاة بالنسبة لهم ليست من الدنيا وإنما من الجنة، وهم مع ذلك يخفون أعمالهم الصالحة وحسناتهم الخالصة لتربو وتتقبل، قد أصبحوا بوجوه غير الوجوه لما يعلوها من نور، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:29]. لذلك لما سئل **الحسن** -رحمه الله-: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟

قال: (**لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره**). ووراء هذه الأبواب أيضًا عَبيد!!

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء:108].

فتجدهم يمارسون المنكرات ويرتكبون الفواحش ويغشون السيئات بقلوب قد علاها الران، وهم مستترون وراء قضبان أبوابهم، وقد سترهم الله تعالى بباب ستره، لكنهم جعلوا من الباب سجنًا لهم، ومن الشيطان قائدًا وسجّانًا، فخلوا إلى محارم الله فانتهكوها وجعلوا الله تعالى أهون الناظرين إليهم، وهؤلاء الغافلون يذكروننا بأصحاب الأبواب المغلقة فهل سمعت عن تلك الأبواب؟

الأبواب المغلقة

إنها تشبه أبواب **امرأة العزيز** حين غلقتها أمام يوسف عليه السلام وقالت له "**هيت لك**"! إن هناك أبوابًا كثيرة تغلق على أصحابها يفعل من ورائها ما الله أعلم به وليس فيهم من يقول ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23] وليس منهم صاحب الدجاجة الذي أبى أن يذبحها في مكان لا يراه فيه أحد كما أمره أستاذه لأنه يوقن تمام اليقين أنه لن يكون وحده أبدًا، وقد ظن أصحابها أنهم في ستر عن العيون وأنساهم الشيطان أن الله حيّ لا ينام..

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل:خلوت ولكن قل عليّ رقيب.

وهناك أبواب أخرى تغلق أمام أعمال البرّ والخير فلا تسمع لها صريرًا إلا صرير الصدّ والمنع، فهي دائمًا مغلقة في وجوه الكثير من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والضعفاء، وكأن هذه الأبواب صنعت من صخر أشمّ، فهي لا تفتح! وكأن قلوب أصحابها قدّت من حجر أصمّ، فهي لا تمنح! إذ يبخلون بمدّ يد العون من ورائها لأيّ من هؤلاء، وما علموا أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وأن من فتح لهم باب الإحسان فتحت له أبواب الجنان.

بيوت بلا أبواب

وإذا وُجدَتْ بيوت لها أبواب مغلقة فإن هناك بيوتا لا يجد ساكنوها أبوابًا لها ليفتحوها أويغلقوها! إنها لأناس قد أنهكتهم الحروب، ولاحقتهم دوريات التفتيش من المحتل في كل مكان، وضاعت أدنى حقوق إنسانيتهم الضرورية من الستر والتصرف بحرية داخل حرم بيوتهم وخلف أبوابها، لكن عيون الشر لا تهدأ إلا بفعل الشر فتتبع الناس حتى داخل بيوتهم ولو أدى ذلك إلى خلع أبوابها بالقوة أو هدمها فوق رؤوسهم! والله المستعان، وما يحدث في أرض الإسراء وبلاد الرافدين أكبر مثال على ذلك. كما تجد من تلك البيوت ما هو على هيئة خيام مهترئة لا تغني من ستر ولا تشبع من دفء يعيش أصحابها داخلها بأعداد كبيرة، يفتقدون الشعور بالحرية والأمن، وذلك بلا شك من آفات الحروب والنزاعات بين قابيل وهابيل في العصر الحاضر، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فاللهم عونك وغوثك. فلتتذكر تلك الأبواب، عندما ترى باب بيتك، وإذا ما وضعت قدمك على عتبته لتدخله فسَمّ الله و"**إذا دخلت على أهلك فسلّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**" [1].

(1) رواه الترمذي .

4

بوتوجاز "موقد الغاز"

لقد تنوعت أشكاله وأحجامه .. منه الصغير ومنه الكبير.. وما يعمل بالغاز أو بالكهرباء، حتى صار وجوده أساسيًا في مطبخ كل بيت وفي جهاز كل عروس.. إنه موقد الغاز الذي نطهو عليه طعامنا، ومن فرنه تخرج الحلوى اللذيذة والمأكولات الشهية التي يسيل لها لعاب الجائع وتشتاق لالتهامها البطون الخاوية.

لقد امتنّ الله علينا بآية النار فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: 71 -73]. وقد كان الناس قديمًا يستخدمون النار ويطعمونها الحطب والخشب لتكبر وتنمو وتستطيع حمل ما يوضع في بطنها أو يحمل على ظهرها من طعام، وكذلك استخدموا الفحم لنفس الغرض، ولا زال البعض في أيامنا هذه يشوي علي شوّايات-وإن تطورت- توقَد نارها وتستعر بالفحم خاصة في الرحلات البرية، ورغم ما في ذلك من أخطار متعددة إلا أنهم يأكلون لحمًا طيب الطعم لذيذًا.

حينما نطهو طعامنا على نار البوتوجاز ونجد حرارتها لا بد وأن نشعر شعورًا رهيبًا نحو تلك النار ذلك الجندي القويّ من جنود الله، وندرك كيف خدع الشيطان بقوتها أناسًا ضلوا فعبدوها من دون الله وقدموا لها القرابين، ونعرف كذلك السرّ في نهي الله تعالى لنا عن تعذيب أحد بالنار إذ لا يعذب بالنار إلا رب النار مالكها ومسخرها القادر القهار.. وتذكّرنا حرارتها بنار جهنم تلك النار الموقدة التي قال عنها رسول الله ﷺ: **"أوقد على النار ألف سنة حتى احمرّت، ثم**

أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة " [1] . فنستعيذ بالله من شرها ونبتعد عن أسباب دخولها، ونشكره سبحانه أن سخر لنا نار الدنيا وجعلها نافعة، فقد جاء في الحديث: **"إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وضُرِبت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد "** [2] .

وحين نفتح الفرن لنخرج ما فيه من طعام نرى نفوسًا صُهِرتْ في بوتقة المحن، وصُفّيت في مصفاة الابتلاء كالمعادن حين تُختبر بالنار، فيظهر منها الغالي والرخيص، والحقيقي والمزيف، والصالح والفاسد، ونجد في طعامنا الذي طيّبته النار وأنضجته صورة لنفس المؤمن وقد نضجت لتصبح في أفضل حال وأحسن رونق، وذلك حين تطيب وتصفو بعد البلاء، ويخرج صاحبها الصابر من أتون الفتن والاختبار في دنياه نقيًا صامدًا قويًا بعد أن تحمل لفح نارها وشدة لهيبها، يخرج وقد صقل جوهره واختبر معدنه وعرف أصله ومخبره فصار أكثر نفعًا كالطعام بعد نضجه حين يُشبع الجائعين ويسدّ حاجة المحتاجين ويصير أشهى وأنفع!

والآن وقد علّم الله تعالى الإنسان ما لم يكن يعلم، وبعد أن تقدم العلم واقتحمت التكنولوجيا عالم الإنسان وصار لها وجود في شتّى المجالات، أبدع الناس في صنع البوتوجازات، وتطورت حتى أصبح منها ما يعمل أوتوماتيكيًا وما عليك إلا أن تضع طعامك في الفرن الخاص بالبوتوجاز ثم تضبطه على الوقت الذي تريد أن تطبخ فيه الطعام بالساعة والدقيقة، وهو مبرمج على أن يعمل ذاتيًا، وقد تبع ذلك التطور أن أقبل الكثيرون على التفنّن في عمل المأكولات والحلويات بطرق مختلفة وأساليب متنوعة حتى أصبح لتعليم طرق الطبخ

(1) رواه الترمذي .
(2) رواه أحمد .

وأصوله معلمون ومعلمات وبرامج منتظمة الظهور على شاشات الفضائيات، ولازَم ذلك ما يطلبه البعض ويطرحه من استفتاء وأسئلة تطرح في هذا المجال، ومن ثم ظهرت كتب تؤلف وتشترى وتباع في علوم الطبخ الحديث، فصار الإسراف في تناول الطعام سِمة من سماتنا إلا القليل، نظرًا لضعف النفوس أمام إغراء البطون، وحب التغيير وانفتاح الشعوب واختلاط أكلاتها، وكثرة الإعلانات عن أشهى الوجبات والأطعمة وأنواع الحلوى والمشهّيات، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]. وصِرنا نعاني من السمنة وما تتسبب فيه من أمراض ومشكلات، وبدلاً من اتباع الهدي النبوي في مأكلنا ومشربنا اتبعنا طرق ووصفات **"الريجيم"** التي لن تكون بأي حال كهدي رسولنا الكريم ﷺ في الأكل حين قال: **"ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه"** [1].. ولا شك أن كل المتع الميسرة تتبعها مسئوليات كبيرة ومطالب كثيرة، كما أنها تحتاج إلى حسن استخدام لها وترشيد استهلاك، وإلا تحولت النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة وهذا ما لا يطلبه أحد.

إن من آفات هذه الأجهزة المريحة لنا سُوء استعمالها من بعضنا والإسراف في المباحات المتعلقة بوجودها عندنا وتضييع الوقت الذي توفره لنا في أمور لا تفيد، فقد تقف المرأة في المطبخ أمام البوتوجاز تعد من الطعام كل ما لذ وطاب منفقة في ذلك الجهد والأوقات ثم هي تصلي فرضها منهكة لا تقوى على الوقوف بثبات، وقد تؤخره وتترك نوافل الصلوات، أوتصليها مع الجالسات، وقِس على ذلك بقية العبادات! أما إن كان الزوج -أكرمه الله- من محبي الزيارات والولائم المستمرة فستقوم بأضعاف ذلك من الجهد ولا سيما إن كنا في شهر رمضان وهو

(1) رواه الترمذي.

الشهر الذي يفترض أننا نصلح أنفسنا فيه بالجوع والعبادات، لأن ضيافتنا الآن فقدت بساطتها وعدم التكلف فيها ودخلها هي الأخرى ما يدخل النفس من حب الشهرة والظهور، والفخر والتباهي والمغالاة ففقدت أجمل ما فيها وهو الجود بالموجود، ورفع الكلفة بين الأحبة والإخوة والأصدقاء من جانب الضيف والمضيف على السواء، حتى أصبحت عبئًا ثقيلاً على ربة البيت ورب الأسرة، ولا أقصد بذلك أن يكون المرء بخيلاً، فليس الكرم في شيء مما ذكرناه، بل إنه أحيانًا يلقي بعضنا ببقية الطعام في سلة المهملات وكان الأولى به أو بثمنه فقير أو محتاج، وما ذاك إلا نتيجة للإسراف الذي أشرنا إليه. تقول عائشة رضي الله عنها : **"إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار"** [1]. وتقول: **"ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ "** [2] . نعم.. فلقد كانوا يعيشون على التمر والماء، مع أنه ﷺ يقول: **"سيد طعام أهل الدنيا، وأهل الجنة اللحم"** [3] ، ومع ذلك فلم يكن يأكل منه إلا قليلاً، وكان يرضى باليسير من الطعام وكان أكثره خبز الشعير، وكان يقول :**"نعم الإدام الخل"** [4] .

فليكن لنا الأسوة الحسنة في رسول ﷺ ، وحين نطهو طعامنا فلنتحرّ الحلال منه، ولنتأدب بأدب الإسلام معه فلا نعيب منه شيئًا، وعند أكله نشكر الله تعالى على نعمته، ونتذكر الفقراء واليتامى والمساكين فنطعمهم مما أطعمنا الله لتحل البركة، ويكثر الخير ويفيض.

(1) رواه البخاري .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه ابن ماجه .
(4) رواه مسلم .

5

تلفاز (وملحقاته من دش وفيديو)

إنه أشبه بصندوق العجائب الذي نسمع عنه في الحكايات، وهو كالدنيا في تزينها لأهلها حتى إذا خاضوا في بحر حبها بلا سفينة ولا شراع أهلكتهم وأغرقتهم بلا رحمة أو شفقة! ومع ذلك تجده في كل بيت وربما في كل غرفة عند الصغير أو الكبير على السواء وتلك مصيبة عظمى تستحق الرثاء.. إنه ذلك الصندوق القابع في وسط الغرفة أو في أفضل ركن منها، وحين تنظر إلي أطفالك من حوله تراهم وقد تسمّروا في أماكنهم وهم يكتمون أنفاسهم، قد تجمدّت أطرافهم، تناديهم لغرض ما فلا سامع ولا مجيب، قد أعطوه كل حواسهم وأرهفوا له السمع لئلا يفوتهم مما يقال شيء.

أي غزو حدث لعقول أولادنا بل ولبعض كبارنا، وأي سَطْو وقع في بيوتنا حتى صار التلفاز صاحبًا ملازمًا وصديقًا حاضرًا وقت صحونا وعند منامنا، وقت راحتنا وساعة طعامنا! وإنه في ظني كالجليس الدائم المصاحب لنا، لذا لا بد وأن تنطبق عليه شروط الصديق والجليس التي حثنا عليها رسول الله ﷺ حين قال: **"مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك من المسك)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة"** [1] .

فلِمَ لا نولي تلك القضية في محيط الأسرة قليلاً من الاهتمام أو الدراسة بتعقل؟

---

(1) متفق عليه .

لقد تذكرت ذلك الجهاز في هذه الأيام ونحن في أيام فضيلة بصحبة شهر الصيام والكل استعد لاستقباله كل واحد بطريقته الخاصة التي هي في ظنه غاية التكريم والإجلال، إذ أننا جميعًا نحب رمضان، وكلنا يتمنى أن يأتي عليه شهر الخيرات ويعوده أعوامًا عديدة ليغترف من بحور بركات الله تعالى فيه، وينهل من معين رضاه الذي يفيض ويزداد، فرمضان إذن ليس كغيره من الشهور، وليس كمثله شهر منها، وإنك لو نظرت إلى هلاله لتهلل وجهك فرحًا وأضاء بشرًا، ولاهتزت نفسك طربًا وملأها الرضا والحبور، فأنت ببلوغه لست بمحروم ما أديت واجبات الضيافة التي عليك تجاهه من حسن استقبال وكرم إقامة وعدم إيذاء، إذ كيف يقابل النور بظلمة المعاصي، وكيف تستقبل من يخلصك من الآثام بمزيد من الذنوب، وهل يعقل أن تفوت فرصة الخلاص والتطهير بالوقوع في أوحال الرذيلة والمنكرات والخوض في أدرانها!

إن من يفعل ذلك لهو بحق محروم وإن بلغ من الشهر آخره ومنتهاه.

ومع نفحات هذا الشهر العظيم تطل علينا بعض الفضائيات التي تمد التلفاز وتغذيه إما بما فتح الله عليها من طيب الأقوال والأفعال، وإما بسيء الطعام وفاسد المأكولات، فالتي تفيد الناس منها هي المستفيدة في المقام الأول لأن النبي ﷺ يقول: **"من دل على خير فله مثل أجر فاعله"** [1] وهي تدعو بذلك إلى مكارم الأخلاق والتسلح بالعلم النافع في الدنيا والآخرة، لذلك تجدها تزداد حرصًا- بارك الله فيها ونفع بها- على الأخذ بيد العاصي حتى يتوب وتشجيع المحسن ليستزيد، وإني لأشد على أيدي القائمين عليها طلبًا للمزيد. وفي المقابل تجد غيرها وهو كثير يستعد لرمضان بالعديد من الأفلام والمزيد من المسلسلات والجديد من الفوازير التي يتخللها عري وسفور وتبرج، وخضوع بالقول وربما رقصات شرقية مثيرة!

(1) رواه مسلم .

كل ذلك من المفترض أنه يُقدّم لبناتنا وشبابنا الصائمين الذين هم في حاجة للسموّ فوق الشهوات لا الوقوع في أحضانها، والاستعلاء على الغرائز لا تأجيجها!

وأقل ما في هذه المواد التي تبث لهم ضياع الأوقات وتبديد الطاقات والاستهانة بحرمة الشهر الذي كرمه الله، أضف إلى ذلك كثرة ما تحويه من لغو وكلام لا يليق بشرف الزمان.

فلِمَ لا يكون الشهر المبارك فرصة لتنقية وفرز ما يقدم فيه للصائمين، ولِمَ لا يكون فرصة للقائمين على برامجه لبث ما يعالج قضايانا جميعها الاجتماعية منها والفكرية والسياسية بأسلوب حضاري راق لا نخالف فيه أوامر الدين، ونستغل هذا الجهاز فهو نعمة عظيمة إذا استغلت الاستغلال السليم وأيّ نعمة!

فما أسرعه في إيصال الغرض إلى العقول وما أثبت المعلومة التي تبث من خلاله خاصة للأطفال، وما أقوي شدة جذبه للنفوس، لذا فإني أناشد المسئولين عن هذه القنوات أن يجعلوا من رمضان فرصة للمراجعة وجرد بضاعتهم وتحديد مكسبهم أو خسارتهم بقدر ما أدوا فيه لله، وأذكّرهم بقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران:30].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة:281]. فرمضان فرصة للعودة إلى معين الفطرة الطاهر بلا تردد لأن المؤمنين حبهم لله فوق كل حب، كما قال الله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:165].

ومن منطلق هذا الحب جدير بكل منا أن يكون له برنامج خاص في شهر رمضان، ومن يدري فلعله لا يدركه عامًا آخر، والعاقل الفطن لا تمر من

يديه مواسم الخير و هو يتفرج، لذا أقدم لنفسي أولاً ثم لمن أراد أن يستغل أنفاسه في هذه الأيام الفضيلة هذا البرنامج العملي عسى أن يكون لنا من الخير نصيب:

برنامج عملي مقترح لشهر رمضان

- التوبة النصوح إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، مع النية الصادقة الخالصة لله وطلب العون منه سبحانه وتعالى والثبات.

- المحافظة على الصلوات المفروضة في أوقاتها، مع إسباغ الوضوء قبلها، والتسبيح والأذكار المأثورة بعدها، وأداء السنن الرواتب لها وهي اثنتا عشرة ركعة.

- تلاوة ورد يومي من القرآن الكريم والمحافظة على أذكار الصباح والمساء المأثورة عن رسولنا ﷺ.

- المحافظة على ركعتي الضحي، والحرص على أداء صلاة التراويح طوال شهر رمضان، والنوم على طهارة، مع قراءة أذكار النوم، وتجديد نية القيام لصلاة ركعتين بالليل أو أكثر.

- المداومة على دعاء جامع ومختصر يوميًا قبل الإفطار ووقت السحر، تخص به نفسك وأهلك وكل المسلمين والمسلمات، والإكثار من الاستغفار وقول لا إله إلا الله، والاجتماع مع الأسرة على تلاوة أو طاعة.

- إخراج صدقة يومية ولو قليلة توضع في يد محتاج، وإلا فيمكن أن توضع في صندوق يعدّ لذلك الغرض بالمنزل، وإخراج الزكاة المفروضة في وقتها، طيبة بها نفوسنا.

- حسن الخلق مع الجميع والحفاظ على الصيام من أن يخدش بغيبة أو نميمة أو فحش القول، وبر الوالدين والدعاء لهما في كل صلاة، وصلة الرحم وإن قطعتك.

- إتقان العمل في السر والعلن، والاجتهاد في تحصيل العلم النافع في الدنيا والآخرة.

- عدم إضاعة الوقت في كثرة النوم، أو الإسراف في المباحات، أو السهر في غير طاعة الله.

- التزام المسلمة بحجابها ومراعاة الآداب الخاصة بلباسها وزينتها.

- ملازمة المسلمة لذكر الله ولأعمال الخير أثناء حيضها ونفاسها.

- تفطير صائم أو المشاركة في ذلك، دون تكلف، ولو على تمرة أو جرعة ماء.

- الحذر عند الإفطار من الأكل حتى التخمة، عملاً بالسنّة، ودفعًا للكسل عن العبادة.. والاقتصاد في إعداد المأكل والمشرب، وعدم الانشغال بذلك وقتًا طويلاً بالمطبخ.

- الاقتصاد في استخدام الهاتف، وتجنب الثرثرة واللغو من الكلام.

- زيارة المرضى التماسًا للأجر وطلبًا للثواب، ومساعدة المحتاجين وتقديم العون للضعفاء، ورعاية الأرامل واليتامى وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم.

- اغتنام العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد في العبادة التماسًا لليلة القدر، وعدم الإسراف في الاستعداد للعيد، و الحذر من إضاعة الأوقات في الأسواق.

- محاسبة النفس والاستغفار بعد كل عمل وتصحيح أي خلل أو نقص فيه، والعزم على الاستمرار في الطاعة بعد رمضان لتتحقق ثمرة الصيام.

- **وأخيرًا** لا تجعل من عبادة الصيام سببًا للكسل والتقصير في أداء عملك الذي تقتات منه، بل اجعله سبيلاً لإتقانه وتقديم القدوة والمثل الطيب للمسلم الصائم.. ثم لا تغتر بأي طاعة أو يداخلك العُجب بأى عمل عملته ولو كان كثيرا، بل كن وجلاً و اسأل الله المغفرة و القبول و اشكره على أن وفقك لطاعته.

مع تمنياتنا للجميع بصيام مقبول، و تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

6

ثـــوْب

في لحظة صفاء وودّ مع نفسها اشترتْ لها خمسة أثواب جديدة.. لقد اشترتها كلها معًا في ساعة واحدة ونقدت البائع ثمنها بسماحة نفس دون أن تجادل في السعر الذي حدده لها.. بل وأضافت إليها شراء ما يلزم من طيب وعطورات.. لم تبالِ حينها ولم تفكر إن كان هذا إسرافًا مذمومًا أم أنه من الضروريات! لكنها ليست كعادتها حين تحضر الملابس الجديدة بماركاتها العالمية وموديلاتها الرقيقة التي تتناسب مع ذوقها الرفيع وتطلعاتها إلى الجمال.. إنها حين تفوز بشرائها يرقص قلبها طربًا، وتتنافس جوارحها شوقًا لارتدائها، فقد جُبلتْ على حب الجمال، وما ذلك بعيب فيها، فهي لم ولن تتزين بها إلا في بيتها، أمام زوجها، أو بعض محارمها، أو النساء من أهلها وصديقاتها، كما أنه لا يخرجها عن تواضع نفسها ولن يصرفها عن ارتداء حجابها.. رجعت إلى البيت وهي تحملها بين يديها، وبين الحين والآخر تختلس نظرة إليها على وجَل واستحياء.. وكلما نظرت إليها بطرف عينيها غضت الطرف عنها، وأخذتها رعدة، وسرى في أوصالها قشعريرة، وزاد اضطرابها، وتسابقت دقات قلبها! وما تلك بعادة لها.. لقد اشترتها بمال حلال طيب ولم تسرقها فلمَ الخوف والقلق إذاً؟!..

جرت مسرعة نحو غرفة صغيرة في بيتها أشبه بالمخزن تضع فيها بعض الأغراض اللازمة للبيت.. فتحت بابها بعصبية ويدها تهتز وتنتفض وهي تمسك بمقبضه ودون أن تفكر ألقت ما في يدها من ملابس في خزانة صغيرة بداخله

كأنها تضع عن كاهلها عبئًا ثقيلاً عليها كاد أن يهلكها أو قنبلة موقوتة أوشكت أن تنفجر بين جوانحها.. وبعدها أغلقت الباب وجلست تلتقط أنفاسها وتجمع شعث قلبها.. حاولت أن تسترخي علّها تريح أعصابها وتفكر في أمرها.

ألقت بجسدها المنهك على سريرها.. ودار حوار داخلي عنيف مع كل ذرّة في بدنها.. يهزها هزًا.. حوار مشوب ببعض الاعتراف بالخطأ وتأنيب الذات ومحاسبة النفس الأمارة بالسوء المتلهفة على كل لذة عاجلة ولو كان فيها حتفها .. صراع صادق يحركه الصدق الذي شفتْ به نفسها.. لقد أرادت أن تلقّن نفسها درسًا لا تنساه، وذلك حين هالها البحر الهائج بالأزياء الذي تتناثر أمواجه لتلقي بكل جديد، قد يكون هذا الجديد صالحًا لتناوله وقد يكون مسمومًا يميت ويقتل آكله! وكلما ألقى ما فيه طلب الناس المزيد! خشيت على نفسها تلك الموجات العنيفة الجارفة التي تجرف معها كل ضعيف وتلقي به بعيدًا بعيدًا في قرار سحيق.. أحست في نفسها التأثر بتلك الفتنة الكبيرة وشعرت أن تلك القضية التي شغلتها تشغل بال الكثيرات من بنات جنسها من نساء اليوم واللاتي انبهرن بزخرف الحياة وعالم الموضة والأزياء فصار لهن شغلاً ومطلبًا، وأصبح معهن هَمّا ومأربًا!

وصارت الواحدة منهن خبيرة بالموضة وأسرارها مميزة للأزياء وخطوطها حتى في الحجاب الذي دخله هو الآخر موجة التغيير والتمدن فغيرت من جوهره وشوّهت من صورته الناصعة الأصيلة.. همست تحدث نفسها.. عجيب أمرك أيتها الإنسانة.. لِمَ تخافين وتتصارعين مع نفسك؟

ألستِ أنت المرأة الجميلة الذواقة للجمال؟

ألستِ المحبة للجمال الحريصة على اقتنائه؟

شأنك شأن الكثيرات، لستِ وحدَك فلِمَ القلق؟

جاءها صوت الحقيقة يناديها من أعماقها.. يرنّ في أذنيها.. يتردد في جوانحها.. تسطّره حروف الكلمات على صفحات عقلها.. ومع نبضات قلبها الخائف يأتيها الصوت قويًا من بعيد.. لماذا لا تجربين؟

لماذا لم تكلفي نفسك مشقة العناء لتنظري بعين الحقيقة إلى تلك الأثواب؟

ألم تشتريها لتكون سببًا في زينة قلبك وجمال روحك وحياة للوجدان.. ألم تقتنيها لتكون لك ولنفسك بالمرصاد.. لقد دفعتِ في شرائها بعض النقود لتقبضي الثمن، لكنه ثمن طيب مبارك.. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:55] .. نعم.. ليذكّرك دائمًا بالحقيقة عندما تنسين.. وينبهك عندما تغفلين.. ويوقظك حينما تنامين.. جَرّبي ولو مرة واحدة.. وقِفي أمام المرآة بهذه الثياب الجديدة.. ستلبسينها كلها حتمًا في يوم ما.. إنها خاصة بك وبكل امرأة.. وللرجال أيضًا منها نصيب، لكن نصيبك أوفى وأكثر، فحين يكون للرجل منها ثلاثة يكون لك أنت خمسة إكرامًا لك، ومبالغة في سترك وصيانتك!

هيا.. أخرجيه من الدولاب.. وثقي أن هذه التجربة ستعطيك الكثير.. بل إنها ستجعل منك إنسانة أخرى غير التي تعرفين.. إنها ستصقل روحك وتشحذ هِمّتك.. ستنعمين بعدها -بفضل الله- بقلب أتقى ونفس أنقى وعمل أخلص وأرقى.. ستجعلك أفضل حالاً، وأصدق حديثًا، وأقوى إيمانًا، وأحسن خلقًا، وأكثر لله ذكرًا.. ستجعل منك الإنسانة الرفيقة المحبة لكل خير البعيدة عن كل شر.. ولا تخافي بعدها من هذا الثوب.. لأنه ثوب الحقيقة الذي سيرتديه كل إنسان بل كل مخلوق في هذا الوجود.. الحقيقة التي قد يتهرب بعضنا منها ومن محاولة معرفتها أو ذِكرها، ننساها أو نتناساها.. مع أنها آتية لا ريب فيها وإن طال بنا المقام.. وهي نهاية كل حيّ ومخلوق في هذه الحياة.. نعم أختاه.. إنها الثياب البيضاء التي نلبسها للقدوم على الله عز وجل.. في يوم لا مهرب منه.. سَمّها ما

شئت.. كَفناً كان أو ثوبًا.. فلا فرق، فالكل لابسه أو يُلبَسَه رغمًا عنه في يوم ما، قد يكون قريبًا وقد يكون بعيدًا، لكنه في الطريق إلينا، وكل آت قريب، أليس كذلك؟

فهل جربنا يومًا وارتدينا هذا الثوب بأنفسنا ونحن أحياء لتحيا قلوبنا من غفلة وموات!!.